أتحدث معك فلا تتجاهل عني

بقلم
ريان حسن رابي



فهرس الكتاب.

بقلم: ريان حسن رابي.

مقدمة الكتاب.

أتحدث معك ... لا لافتيك، بل لاحدث قلبك.

ليست هذه الصفحات من كتب الفقه، ولا من دواوين العلماء، ولا من مجالس أهل التفسير، بل هي كلمات كُتُبت من قلبٍ صغير، يؤمن أن الطريق إلى اللّٰه لا يشترط شهادة، بل صدقًا، وأن الكلمة إذا

.خرجت من القلب وصلت إلى القلب، وإن تعثّرت في قواعد اللغة وبلاغة البيان.

لم أكتب لأنني عالمة، ولا لأنني حافظة للقرآن، بل لأنني فتاة تبحث عن النور في زمنٍ كثُر فيه الضجيج.

أبحث عن السكينة، عن المعنى، عن طريق يوصلني إلى اللّٰه دون زخرف ولا تكلف.

هذه الرسائل التي ستقرؤها هي نبضات قلبٍ مؤمن، يسأل اللّٰه أن يُثبّته، أن يقبله، أن يهديه، وأن لا يُخيّب ظنه فيه كتبتها لنفسي أولًا، ثم وجدت أن القلوب المؤمنة تتشابه... وكلّنا نحتاج أحيانًا إلى من يهمس فينا:

"ثبّت قلبك، اللّٰه معك"

فلا تأخذها على أنها علم، ولا تنظُر لها بعين التدقيق، بل خذها كما تُؤخذ الموعظة من قلبٍ صادق، لا.يدّعي شيئًا... بل يرجو كلّ شيء من اللّٰه.

أتحدث معك ..فلا تتجاهلني، فربما هذه الكلمة كتبت لأجلك.

نداء من قلبٍ يحبك... إهداء.

أيّها القارئ العزيز، أيتها القارئة العزيزة.
أيّها القلب الذي ما زال فيه نبضُ حبٍ اللّٰه ورسوله،
أناديك بنداءٍ يخرج من قلبي لا من قلمي،
أناديك لأنّي أحبك في اللّٰه،
وأتمنى لك النور، والثبات، والقُرب، والبِشر
وأدعوك أن لا تمر على هذه الصفحات مرور العابرين
هذا الكتاب لك،
نعم، لك أنت،
لأنّك ما زلت تشعر
لأنك تشتاق
لأنك، رغم التعب، ما زلت تريد اللّٰه
اهديك هذه الكلمات، لا لأنها بليغة... بل لأنها صادقة.
اهديك هذه الرسائل، لا لأنها جميلة... بل لأنها تُريد أن تُقربك إلى من يحبّك أكثر من نفسك.
فيا من يقرأني الآن
يا من أحببتك دون أن أراك
وأرجو لك الجنة دون أن أعرفك
خذ هذه الصفحات، واقرأها بقلبك
فقد كتُبت لقلبٍ يُريد أن يعود، وأرجو أن يكون قلبك.

لو عادت الحياة كما كانت.

تخيّل أن تستيقظ يومًا... ولا ترى إشعارًا، ولا تنتظر رسالة،
ولا تهمّ بتفقد شاشة
تفتح عينيك على وجه أمك، وابتسامة أبيك، وصوت
العصافير لا إشعارات الهاتف
تُمسك بيد أخيك، وتلعبون في الحارة، تضحكون من القلب،
لا من شاشةٍ تُضحك العيون وتُطفئ الأرواح.
في زمنٍ مضى، كنا نعيش الحياة بكل تفاصيلها
ننظر في العيون، لا في الشاشات،
نتحدّث... ونُنصت.
ننتظر... ونتصبّر.
نُمسك اللحظة، لا نُشتّتُها بتقليب لا ينتهي
أما اليوم، فقدنا الصبر لأن كل شيء صار لحظيًا
وفقدنا الوقت لأن أعمارنا تتناثر في التمرير والسحب والنقر.
وفقدنا القرب رغم أن الأجهزة قرّبت البعيد، لكنها باعدت
بين القلوب القريبة.
هل خسرنا شيئًا حين لم يكن هناك هاتف؟
أبدًا، بل ربحنا كل شيء: القرب، الحميمية، الصدق، والانتباه.
ولكن، كم خسرنا منذ دخلت علينا تلك "النافذة الصغيرة"
التي نراها بكل لحظة، ولا ترى فينا شيئًا؟هل حان وقت
إغلاقها، أو على الأقل... فتح نافذتنا نحن على الحياة من

جديد؟
أيها القارئ.
هل تذكر؟ أم نسيت؟
هل تتوق كما أشتاق، إلى زمنٍ كانت فيه الحياة تُعاش لا تُوثّق؟
إلى لحظةٍ نضحك فيها ملء القلب، لا نُمسك الهاتف لنصوّر الضحكة فنفقدها؟
تخيّل لو عادت الحياة كما كانت؛
بلا إنترنت، بلا هاتف، بلا تلك الصناديق المضيئة التي تسرق منا أعمارنا لحظة بلحظةهل كنا لنشعر بالوحدة؟
أم كنا لنشعر بالامتلاء... لأن القلوب كانت ممتلئة ببعضها، لا بمتابعين لا نعرف وجوههم؟
كنا ننتظر الرسالة أيامًا، فنفرح بها عمرًا،
واليوم تأتينا آلاف الكلمات، فلا يلامس القلب منها حرفٌ واحد.
كنا نصبر، ننتظر، نعيش اللحظة، ونشرب من نهر الوقت ببطء أما الآن؟
نرتشف أعمارنا كمن يشرب من ماء البحر، كلما شرب عطش أكثر
أخبرني ... ماذا خسرنا يوم لم نكن نعرف شكل العالم كل لحظة؟هل خسرنا شيئًا؟

أم كنا نربح أعمارنا، وأرواحنا، وأحاديث أمّهاتنا، وضحكات إخوتنا، وصوت المؤذن وهو يملأ الحي سكينة؟،

قل لي ... كم مرة فتحت هاتفك، تبحث عن شيء لا تدري ما هو؟ وكم مرة أغلقت عينيك لأنك تعبت من التحديق، لا من الحياة؟

ألسنا غرباء في بيوتنا، والكل مجتمع في صمت حول شاشته؟ ألسنا نأكل معًا، ولا نتحدث؟ نجلس معًا، ولا نلتقي؟

يا قارئي العزيز.

لو عادت الحياة كما كانت، لما خسرنا شيئًا، بل لربحنا كل ما فقدناه: الطمأنينة، الحضور، واليقين لأن أجمل اللحظات لا تُنشر، بل تُعاش

فهل تشتاق؟

هل تجرؤ أن تسأل نفسك: ماذا لو أغلقت الهاتف ليومٍ واحد فقط؟ هل ستعرف وجهك في المرآة؟ هل ستسمع صوت قلبك من جديد؟

لماذا أصبحنا لا نطيق الصمت؟

سؤالٌ يؤرّقني... لماذا لم نعد نحتمل لحظة صمت؟
لماذا نسارع لتشغيل مقطع، أو تصفح تطبيق، أو إرسال رسالة، إذا خلا المكان من الأصوات؟
متى أصبحت عقولنا تخشى أن تسمع نفسها؟
منذ متى صار السكون يُرعبنا؟
هل تذكر حين كنت تجلس وحدك، تنظر إلى السماء، وتفكر؟
هل تذكر صوت قلبك وهو يحادثك؟
هل تذكر متى كانت آخر مرة جلست فيها بلا شيء فقط أنت وربك وأفكارك؟
لقد غيّرتنا الأصوات الكثيرة،
صخب لا يهدأ، ضوضاء في الجيب، في الأذن، في العقل، وحتى في القلب.
نخاف الفراغ، فنملؤه بكل شيء، إلا بما يُغني الروح
لكنّي أسألك:
متى كانت آخر مرة أحسست فيها بالسكينة؟
هل جرّبت أن تطفئ كل الأجهزة، وتسمع تلاوة بصوتٍ خاشع، أو تبكي في دعاء، أو تكتب لنفسك شيئًا من القلب؟
أم أنك تخشى المواجهة؟
أن تفتح باب الصمت، فتجد نفسك غريبًا عن نفسك.

إننا لا نحتاج إلى ضجيجٍ أكثر،
بل إلى سكونٍ نُرمم فيه أرواحنا التي تكسّرت تحت ضغط التحديثات، والتذكيرات، والإشعارات.
يا قارئي،
إن القلب لا يشفى في الزحام،
ولا تنبت الطمأنينة في أرضٍ تُروى بالهروب.
فاسأل نفسك الآن:
هل هذا الذي تفعله طوال اليوم... هو ما خُلقت لأجله؟هل هذا الضجيج، هو الحياة التي ترضاها؟
أم أنك تشتاق لحياةٍ أخرى... لا تحتاج إلا إلى هدوء، ومصحف، ونافذة مشرعة للسماء؟

حين كان للوقت طَعم... لا يُلتهم.

هل تتذكر حين كان اليوم طويلًا كفايةً لننجز، ونلعب، ونضحك، ونحلم؟
حين كانت الساعة تمضي ببطءٍ كريم، كأنها تمنحك فرصة أن تعيشها؟!
أم نسيت ذلك الزمان، الذي كان الوقت فيه صديقًا لا عدوا؟
انظر إلى يومك الآن كيف يمرّ؟
أليس يتبخّر في الهواء دون أن تشعر؟
تفتحه بهاتف، وتغلقه بنظرٍ مُرهق وقلبٍ خاوي، ثم تقول: لم أجد وقتًا
أحقًا لم تجد وقتًا؟
أم أنّ الوقت وجد من يأكله قبلك؟
أخبرني:
كم ساعةً التهمتها يدك وأنت تُمرّر الشاشة بلا وعي؟كم دقيقةً ضاعت في بحثٍ لا تدري ما غايته؟
كم لحظةً اختفت دون أن تحياها؟
قد كان للوقت طعم ... نُقسمه بين صلاةٍ بخشوع، وحديثٍ عائلي، ومجالس علم، وضحكة بريئة، ونظرٍ في كتاب، وسجدةٍ تطيل فيها البكاء دون استعجال.
أما اليوم

فالوقت يُؤكل، يُلتهم، يُنهب أمام أعيننا، ولا نملك إلا أن نقول: "مشغولون"

لكن مشغولون بِماذا؟

بما سيُذكر يومًا في صحائفنا، أم بما لا يُسمن ولا يُغني من روحٍ جائعة؟

أيها القارئ ... إن لم تحرص على وقتك، سيأكله غيرك...

تطبيقًا تلو آخر، مقطعًا تلو آخر، حتى تُفاجأ أنك قد كبرت...

ولم تعش!

أنك حفظت كل شيء، إلا القرآن،

وتابعت كل مؤثر، ولم تؤثر في أحد،

وشاهدت ألف مشهد... ولم تُبصر نفسك يومًا!

فهلّا أمسكت بوقتك؟

هلّا أعدته إلى موضعه الصحيح؟

هلّا جعلته زادًا ليومٍ تقف فيه وحيدًا بين يدي الله، لا هاتف بين يديك، لا صديق يُشتّت، لا إشعار يُلهي؟

أمسِك وقتك قبل أن يمسكك الندم،

ففي الآخرة، لا يُعاد الزمن، ولا تُفرغ الذاكرة، ولا تُغلق الصفحة... إلا حين تُختم.

القلوب تكلّمت... فلم يسمعها أحد.

أخبرني ... هل شعرت يومًا أن في صدرك شيئًا يريد أن يُقال... لكنه غُصّة؟

هل مررت بليلةٍ طويلة، أردت أن تبكي فيها لأحد، لكنك وجدت الكلّ مشغولًا... حتى أقرب الناس؟

هل أردت أن تقول: "أنا موجوع"

فقالت العيون: "لا وقت لهذا الآن"؟

نعم

القلوب تكلّمت كثيرًا

لكن أحدًا لم يُنصت!

في زحمة الحياة الجديدة،

تعطّلت لغة القلوب،

تكلّمنا كثيرًا... لكن ليس عمّا نشعر.

كتبنا كثيرًا... لكن بلا معنى.

أرسلنا آلاف الرسائل... لكن دون دفء!

أين ذهبت تلك الجلسات التي كانت القلوب تتنفس فيها؟

أين ذهب ذلك الحوار الذي لا يتقطّعه إشعار، ولا يُقطعه نظرٌ إلى الشاشة؟

اليوم، إن لم تتحدث بصوت عالٍ، وإن لم تكن رسالتك قصيرة وسريعة ... فلا أحد ينتظر حتى يسمعك.

ولا أحد يقرأ حتى النهاية.
لكن القلوب لا تُخاطب بالاختصار،
القلوب تحتاج إلى صبر، إلى إصغاء، إلى عُمق
أيها القارئ ... كم من قلبٍ بجوارك... صامتٌ منذ سنوات؟
كم من قريبٍ لا يُحادثك، ليس لأنه لا يريد، بل لأنه جُرِحَ من صمتك الطويل؟
كم من ابنٍ تشتاق أمه لكلمة منه، وكم من زوجةٍ ترجو لحظة حديث، وكم من صديقٍ ينتظر "كيف حالك؟" صادقة؟
القلوب تكلّمت... لكننا كنا مشغولين جدًا بما لا يُسمن.
بما لا يُسمع.
بما لا يُحب.
فهل تسمع الآن؟
هل تستطيع أن تترك الهاتف لحظة، وتلتفت لقلبٍ ينتظر التفاتتك؟
هل تملك الشجاعة أن تبدأ الحديث، لا برسالة، بل بنَفَسٍ حقيقي... بصوتٍ دافئ... بعينٍ ترى، وقلبٍ يُصغي؟
رجاءً ... قبل أن تُطفئ هذا النور الذي في قلب أحدهم... اسمعه.

هل ما زلت تعرف من أنت؟

قف لحظة، وانظر في المرآة ماذا ترى؟
وجهك؟ ملامحك؟ أم تراك لا ترى شيئًا واضحًا... لأنك لا تعرف من أنت بعد؟
أخبرني ... من تكون، إذا انطفأ الإنترنت؟
من تكون، إذا اختفى حسابك، وانطفأ ضوء هاتفك، ولم يبقَ من كل هذا العالم الصاخب إلا أنت،وصمتُك، وربّك؟
هل تعرفك نفسك؟
هل تنتمي إلى اسمك الذي تكتبه كل يوم في التعليقات؟
هل تُشبه صورتك التي تظهر في كل التطبيقات، أم أنك شيء آخر، مدفون تحت ألف قناع، وألف تصنع؟
هل كنت هكذا قبل كل هذه الضجة؟
قبل أن تُرغمك التطبيقات أن تكون حاضرًا دائمًا، نشطًا... موجودًا؟
أين أنت من نفسك؟ هل فقدت الطريق؟
هل تنازلت عنها شيئًا فشيئًا... فقط لتكون "مقبولًا"، "مرئيا"، "مؤثرًا"؟
أيّها القارئ ... كل يوم تأخذك الدنيا خطوة... خطوة حتى تصبح غريبًا عن قلبك.
تضحك كثيرًا... ولا تدري لمَ أنت حزين.

تكتب كثيرًا... ولا تعرف صوتك الحقيقي.
تُشاهد حياة الجميع... وتنسى أن تعيش حياتك
ولكنّي أسألك الآن، بصدق:
هل ما زلت تعرف من أنت؟ ما الذي تحبه؟
ما الذي يُرضي اللّٰه عنك؟
ما الذي كنت تحلم به قبل أن يسرقك السيل؟
اعلم أن اللّٰه لم يخلقك لتكون نسخةً من غيرك
ولا تابعًا لكل صوتٍ عابر،
ولا متفرجًا على الآخرين يركضون نحو الجنة وأنت تمشي في الدوّامة.
اللّٰه خلقك "أنت"
بخصوصيتك، بموهبتك، بحقيقتك فهل تعود؟
هل تخلع الأقنعة، وتنظر في داخلك، وتقول: هذا أنا... وهذا قلبي... وها أنا أعود؟
عد يا صاحبي... قبل أن تنسى نفسك تمامًا.

هل سيتذكرك أحد... إن رحلت الليلة؟

توقّف لحظة... لا تُكمل القراءة بعجلة، اقرأ هذه السطور وكأنها آخر ما تقرؤه في حياتك.

تخيّل... أن الليلة، هي ليلتك الأخيرة.

وأن هذا الجوال، لن يُفتح بعد الآن.

وأن سجّاد الصلاة الذي يراك كل فجر... لن يراك غدًا.

وأن سريرك سيُغلق عليك، لا للنوم... بل لوداعٍ طويل.

فقل لي بصدقٍ أمام نفسك هل سيتذكرك أحد؟

وبِمَ سيتذكرك الناس؟

بمنشور؟ بصورة؟ بضحكة عابرة؟

أم بدعوةٍ في جوف الليل، من قلبٍ أحبّك لأنك دللته على اللّٰه؟

هل سيتذكرك أحد لأنك كنت سبب هدايته؟

لأنك أحييت قلبه بكلمة؟

لأنك كنت تُسابق إلى الصف الأول؟

أم لأنك كنت تضحك كثيرًا... وتُرضي الجميع،

وتنسى الآخرة؟

يا قارئي،

كلنا سنرحل.

كلنا سنُدفن.
كلنا سنُترك في ظلمة القبر وحدنا، لا إنترنت، لا إشعارات، لا جمهور، لا عدد متابعين.
فمن الذي سيبقى معنا؟
الأعمال... لا المنشورات.
القرآن... لا القصص القصيرة.
الخشوع... لا الإعجابات.
الدمعة في جوف الليل... لا التعليق الذي نال التصفيق.
أجبني ... هل عمرك هذا هو ما كنت تتمنى أن تقابل به اللّٰه؟
هل هذا القلب، المُنهك من كل شيء إلا الذكر، مستعدّ للقاء؟
هل ترضى أن يكون هذا اليوم، هو آخر سطر في كتاب عمرك؟
إن كنت لا ترضى... فابدأ اليوم.
ابدأ الآن.
اغلق هذه الفوضى... وافتح مصحفك، قلبك، صحيفتك.
واكتب فيها شيئًا... يُبقي ذكرك عند اللّٰه، وإن نسيتك الدنيا.

نشتاق للبساطة... ولا نعرف كيف نعود إليها.

أيها القارئ ألا تشتاق؟
ألا تحنّ إلى أيامٍ كان فيها كوب الشاي كافيًا لإسعادك؟
وصوت المطر يملأ قلبك طمأنينة دون أن تبحث عن "موسيقى هادئة" في الخلفية؟
ألا تشتاق إلى حياةٍ لا تحتاج فيها إلى تصوير كل لحظة؟
إلى ضحكةٍ لا تُرسل عبر "إيموجي"، بل تخرج من قلبك... وتصل إلى قلب من أمامك؟
إلى وجبةٍ تأكلها مع من تحب... دون أن تقول: لحظة، دعني أصوّرها أولًا؟
نشتاق كثيرًا
نشتاق إلى الأيام التي كانت تمضي ببطء، لكنها كانت حقيقية.
إلى الحوارات العفوية، إلى الطرقات الترابية، إلى الكتب الورقية، إلى الألعاب التي تُمارس بالأيدي لا بالأزرار.
نشتاق إلى أن نعيش ببساطة... بصدق... بلا تصنّع بلا تزاحم.
لكن المشكلة أننا لا نعرف كيف نعود.
كأن شيئًا ما انكسر داخلنا،
كأن أيدينا اعتادت الضغط، لا العناق،
وعيوننا اعتادت الضوء الأزرق، لا ضوء القمر،

وأرواحنا تعوّدت الركض خلف "اللاشيء"، حتى نسيت طعم "الشيء الحقيقي".
أيّها القارئ ... البساطة لم تختفِ، لكنها تنتظر من يختارها.
السكينة ما زالت موجودة، لكنها لا تطرق أبواب من أغلقوها بالشاشات.
الطمأنينة ما زالت تُولد من لحظة صدقٍ مع اللّٰه، من جلسة ذكر، من نيةٍ خالصة، من دعاءٍ نهمس به دون أن يسمعه أحد غير اللّٰه.
فهل تجرؤ أن تُخفّف؟
أن تُبطئ خطواتك؟ أن تحذف شيئًا من ازدحامك؟
أن تعيش أقل... لكن أصدق؟
أن تعود إلى بساطة العيش... وعظمة القُرب من اللّٰه؟
لا تخف من الرجوع،
فالطريق إلى الفطرة ليس معقدًا بل هو خُطوة واحدة: أن تقول لنفسك بصدق ".لقد سئمت... وأريد أن أعود".

حياة تُرضي اللّٰه... لا الخلق.

أيها القارئ ... قِف مع نفسك واسألها، بلا مجاملة ولا تهرّب
لمن تعيش؟
من تُرضي؟ من الذي تخاف غضبه؟
ومن الذي تسعد حين يرضى عنك؟
هل أنت ممن يُصلح صورته أمام الناس... ويُهمِل صورته أمام اللّٰه؟
هل تُرتب يومك حسب أعين المخلوقين، لا حسب مواعيد الصلاة؟
هل تكتب ما يُعجب الناس، وتنسى ما يُرضي الرحمن؟
أيّها القارئ ... نُ صريحًا مع نفسك:
كم مرة مسحت دمعةً لأنك "لا تُريد أن تبدو ضعيفًا"؟كم مرة خبأت طاعتك لأنك تخجل أن يُقال عنك "ملتزم"؟
كم مرة مرّ بك وقت السحر، وكان الهاتف في يدك... لا القرآن؟
كم مرة غلب رضا الناس رضا اللّٰه... فمضيت؟ وسكت؟
وسايرت؟ وسكتّ عن الحق... فقط لأنك لاتريد أن "تخسر صورتك"؟
لكن...
ماذا لو خسرت صورتك عند اللّٰه؟

ماذا لو كنت نقيا في أعين الناس، ومظلمًا في صحيفة الملائكة؟

ماذا لو وقفت بين يدي اللّه، وكل من أرضيتهم لا يملكون لك شيئًا؟هل سينفعك مديحهم؟ إعجابهم؟ تعليقاتهم؟

هل سيقول أحدهم: "رب، أدخله الجنة لأنه كان يُضحكنا"؟

أيّها القارئ ... كنُ صادقًا... ولو خالفك الجميع.

كنُ مستقيمًا... ولو سخروا منك.

كنُ نقيا... حتى وإن خذلك القريب.

لا تعش حياةً لتُرضي الخلق... فهم يتغيرون، يتقلبون، ينسون.

.عِشْ حياةً تُرضي اللّه... فثباته أمان، ورحمته وسِعَتْ كل شيء.

واسأله أن يجعلك ممن قال عنهم:

"رضي اللّه عنهم ورضوا عنه"

فأيّ حياةٍ أعظم من حياةٍ ترضي من خلقك، ورزقك، وسمع دعاءك، وسيكون معك حين يتركك الجميع؟

الآن... قبل أن يفوتك القطار.

توقف عن تأجيل التوبة.
توقف عن قول "غدًا"، "حين أرتاح"، "حين أتحسن"، "حين أتفرغ".
فالعمر لا ينتظر أحدًا.
والقطار لا يصفّر لك مرتين!
كم مرة استيقظت من ذنبك... وعُدت إليه؟
كم مرة بكيت من خشية اللّٰه... ثم نشفت دمعتك على مقطعٍ ساخر؟
كم مرة قلت: "سأبدأ من الغد"... ثم جاء الغد ولم تبدأ؟
أما آن لك أن تبدأ الآن؟
أما آن لك أن تقف في وجه نفسك وتقول: "كفى!"؟
كفى ضعفًا، كفى غفلة، كفى ضياعًا.
فالطريق واضح، والربّ ينتظر، والباب لا يُغلق ولكنك تؤخر نفسك بنفسك.
القطار لا ينتظر المتردّدين.
ولا يحمل من تأخر عن ركب التوبة.
يُغادر في لحظة...
وفي لحظةٍ واحدة، قد تُطوى الصحيفة، ويُغلق الكتاب، وتُطوى الدنيا!

ألا تخشى أن يأتيك الموت... وأنت على ما لا يُرضي اللّٰه؟
ألا تخاف أن يختم لك وأنت في غفلتك، في نومتك، في لهوك؟
ألا تتمنى أن تموت على سجادة، لا على شاشة؟
أيّها القارئ ... الفرصة لا تزال بين يديك.
واللّٰه يناديك في وقت السحر:
"هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟"
فهل ستجيب اليوم؟
هل ستقول من قلبك: "اللهم إني تبتُ إليك... وردّني إليك ردًا جميلًا"؟
اجعل من هذه اللحظة بدايةً
واجعل من هذا الكتاب جسرًا
واكتب على صفحة قلبك:
"رجعتُ إليك، ربي... فلن أعود للضياع بعد اليوم".

حين يرضى عنك اللّٰه... فقد بلغت الغاية.

ليس بعد رضا اللّٰه شيء،
ولا فوق القرب منه أمن،
ولا بعد بابه ملجا ولا راحة.
فإن رضي اللّٰه عنك... فتلك هي الغاية.
هي اللحظة التي تُطوى فيها صحائف الهمّ
وتنطفئ فيها نار التعلّق،
ويُقال لقلبك: "اذهب، فقد رضي عنك مولاك".
لا تبحث عن مجدٍ زائل، ولا تصفيق جمهور، ولا نظرات إعجاب.
ابحث فقط عن لحظةٍ يراك اللّٰه فيها حيث يحب،
يسمعك تدعوه خاشعًا،
ويراك تتوب إليه صادقًا،
ويعلم منك أنك ما أتيت إلا طمعًا في رحمته، وخوفًا من سخطه.
أيّها القارئ ... كم مرّة اختارك اللّٰه لتقوم من نومك وتصلي، وكنت غافلًا؟
كم مرّة لامس قلبك آية... فتجاهلت النداء؟
كم مرّة نجاك اللّٰه من ذنبٍ، أو همّ، أو خطر، ولم تقل حتى "الحمد للّٰه"؟

ألا يكفيك ستره؟
ألا يُذيب قلبك لطفه، وهو الذي يراك في كل تقصير، ثم يسترك، ويرزقك، ويؤخرك لعلك تتوب؟
أما آن لقلبك أن يخشع؟
أن يشتاق؟
أن يذوق لذّة الطاعة، وأن يسجد لا يريد أن يرفع رأسه؟
أن يُصبح همّك الأول: "هل اللّٰه عني راضٍ" ؟
فإن رضي، فالدنيا مهما ضاقت... فهي جنّة،
رضا اللّٰه لا يُشترى، ولا يُنال بالحظ،
بل يُزرع في القلب بالإخلاص، ويُسقى بالخلوات، ويُجنى بالثبات.
يا صاحبي ... اجعل حياتك كلها سؤالًا واحدًا
"يا رب، هل أنت عني راضٍ؟"
ثم اجعل كل أعمالك... جوابًا لهذا السؤال
فإذا بلغت الرضا،
فلا تحزن إن قلّ من حولك،
ولا تأسَ على فوات دنيا،
ولا تبكِ على شهرةٍ، أو تعلق، أو صورةٍ انطفأت
فقد بلغت الغاية
لأنك بلغت اللّٰه.

★ الخاتمة★عزيز القارئ.

لقد قرأت كثيرًا
لكن السؤال الآن: هل سمعت؟
هل سمعت صوت قلبك وهو يئنّ تحت صخب الحياة الحديثة؟
هل سمعت النداء وهو يهمس لك بين السطور: "ارجع"؟
أعلم ... أعلم كم ضاعت منّا أيامٌ لا نعرف فيمَ ذهبت
وكم لحظةً هربت من بين أيدينا ونحن نحدّق في اللاشيء،
لكنّي أعلم أيضًا... أن باب الله ما اغلق
وأنّ القلوب مهما تغرّبت... تستطيع أن تعود
لقد كتبت هذا الكتاب لا لنتذكّر معا بالماضي فحسب،
بل لنوقظ فينا فطرةً نائمة، ولهفةً صادقة.
لنقول بصدقٍ لا يُجامل:
كفى!
كفى تغافلًا!
كفى تضييعًا للعمر في اللاوعي!
كفى حياةً تُشبه السرعة لا السرَى إلى الله!
هذه ليست دعوة إلى الحنين،
بل إلى التصحيح.

ليست مجرد شوقٍ إلى البساطة... بل صرخةٌ للنجاة
عزيز القارئ ... ستُغلق هذا الكتاب بعد لحظات
وسيعود إليك هاتفك، وتطبيقاتك، ومشاغلك
لكن قبل أن تعود،
ارجُ اللّٰه أن تعود إليه أوّلًا،
اجعل من هذه الصفحات مفترق طريق،
اجعلها صدمة توقظك،
اجعلها إعلانًا داخليًا:
"لن اكمل كما كنت... لقد تغيّرت، لقد وعيت، لقد عدت"...
وإن سقطت بعدها
فقم ... وإن تعثّرت... فاستغفر
وإن بكيت... فذاك دليل الحياة.
فالمهمّ، أن لا تُكمل طريقك بعيدًا عن اللّٰه.
واعلم ... أن من عرف اللّٰه حقًا، لا يعود كما كان،
ومن ذاق لذّة القرب، لا يرضى بالتيه بعده
فيا رب ... يا من أيقظتَ في قلوبنا الشوق إليك
لا تُغلق عنا بابك، وخذ بأيدينا إلى حيث ترضى،
وثبّت فينا هذا النور، واجعل أثره لا يزول.
اللهم إنّا قد كتبنا، وقد قرأنا.
فاجعلنا ممن يعملون... لا ممن يُعجبهم الكلام ثم ينسونه.

//

تمّ الكتاب.

الحمدُ لله الذي يسّر بدايته وبلّغ تمامه.

كانت رحلةً ممتعة، رحلة كتبتُ فيها من قلبي قبل قلمي.

اللهم اجعل له قبولًا، ونورًا، وأثرًا يبقى.

تاريخ الطباعة

/١١ / ١٠ / ١٤٤٧ هـ

/٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦ م